كلمة رئيس جامعة القدّيس يوسف البروفسور سيم دكّاش اليسوعيّ، في جلسةٍ افتتاحيّة لمؤتمر عالميّ حول «التمكّن من العمل» نظّمته كليّة إدارة الأعمال والعلم الإداريّ في الجامعة، من خلال مركز الأبحاث التابع لها «مركز دراسات الأسواق والتوزيع في الشرق الأوسط» (CEMADIMO)، وجمعيّة خرّيجي إدارة الأعمال، و«المؤتمر العالمي لمديري المؤسّسات التعليميّة العُليا والأبحاث في إدارة الأعمال الناطقة بالفرنسيّة» (CIDEGEF)، والوكالة الجامعيّة للفرنكوفونيّة، يوميّ السادس والسابع من أيّار ٢٠١٤، في حرم العلُوم الإنسانيّة.

يُسعدني كما يُسعد الجامعة، التواجد هنا في أروقة كليّة إدارة الأعمال والعلم الإداريّ، لافتتاح هذا المؤتمر المَهيب الذي اشترك في تنظيمه كلّ من كليّة إدارة الأعمال عبر مركزها للأبحاث (مركز دراسات الأسواق والتوزيع في الشرق الأوسط «CEMADIMO»)، وجمعيّة خرّيجي إدارة الأعمال، والمؤتمر العالمي لمديري المؤسّسات التعليميّة العُليا والأبحاث في إدارة الأعمال الناطقة بالفرنسيّة «CIDEGEF»، والوكالة الجامعيّة للفرنكوفونيّة. جميع هؤلاء الشركاء وكذلك أصدقاؤنا الأعزاء، مسؤولو الجمعيّة والضيوف المميزون ممثلو الهيئات الرسميّة والمدنيّة والاجتماعيّة الاقتصاديّة الذين اتّحدوا معًا ليديروا ويرعوا هذا الموضوع المهمّ جدًا لمؤسّساتنا ولمستقبل شبيبتنا التي تتحضّر لتحمّل مسؤوليتها في مجال التنميّة وتعزيز المُكْتسبات. وليكن شُكري في موقع الإشادة الموجّهة لكلّ الأشخاص والمؤسّسات الذين أعدّوا ونظّموا ورعوا هذه التظاهرة المَهيبة، بدءًا من السادة البروفسور طوني جبيلي عميد كليّة إدارة الأعمال والعلم الإداري، والبروفسور كميل عسّاف رئيس مركز دراسات الأسواق والتوزيع في الشرق الأوسط «CEMADIMO»، ورئيس المؤتمر العالمي لمديري المؤسّسات التعليميّة العُليا والأبحاث في إدارة الأعمال الناطقة بالفرنسيّة «CIDEGEF» البروفسور جيرار كليكه الحاضر بيننا، ولمجموع الفرق العلميّة وفرق التنظيم الذين لم يوفّروا جهدًا لإنجاح مثل هذا المشروع.

في الواقع إنّ الموضوع الذي شغلكم في اليومين الماضيين هو بالتأكيد ساخن وخطر إلى حدّ أنّ العديد من المجتمعات والدول واجهت وبشكل يومي عدم استقرار العمل ومأساة البطالة. مؤكدٌ لهذا الموضوع وجه اجتماعيّ، لكنه يطرح نفسه أيضًا كتحدٍّ للتعليم وللتنشئة النوعيّة الجامعيّة، إلى حدّ أن هذه التنشئة مضطرة

إلى التأقلم وفق الاحيتاجات الكلاسيكيّة والدائمة لسوق العمل. ولكن أليس هذا الأخير في حال تحوّل دائم نتيجة خضوعه لمنتجات جديدة ولوظائف جديدة تفرض على الجامعة التمتع بالمرونة وبالسهر الدائم بُغية الاستجابة إلى التغييرات وإلى المتطلبات الجديدة.

انطلاقًا من هنا نجد أنّ من أهداف كلّ تنشئة، التدريب على الكفاءات والتكيّف مع التنوّع. إنّ هذا الوضع يقتضي المُتابعة والمُرافقة لكي تكون البرامج في تناغم دائم مع ما ينتظر الموظف المستقبليّ في ميدان الاختصاص الذي يختاره. ولا نتكلم هنا عن مفاعيل التنشئة السيئة التي لا توفّر سوى مكتسبات محدودة للمتعلّم والتي لا ترى سوى برامجها الخاصة أو التي تتباهى بأهدافها الخاصّة من دون القلق على تأمين العمالة للمتعلّم. إن تنشئة مشابهة هي الطريق المؤكد للغرق في فشل البحث الدائم عن العمل المُكافأ بأجر مناسب، أو ببساطة الغرق في البطالة الدائمة التي تعني عدم القدرة على التوظُّف.

أيّها الأصدقاء،

بحسب منظمة العمل الدوليّة فإن التمكّن من العمل هو «أهليّة كلّ شخص لإيجاد وظيفة والمحافظة عليها، والتقدّم في العمل والتأقلم مع التغيير طيلة الحياة المهنيّة»، ويعني ذلك عمليًّا وبالنسبة للجامعة أن يأخذ كلّ برنامج في الاعتبار الأهميّة المتعاقبة للمعارف الصرفّ، والخبرات والمهارات الاجتماعيّة. أنا أكيد من أنّ التدريب الذي أُجري حديثًا في العديد من مؤسّسات جامعتنا لإعادة صياغة برامج التنشئة في ضوء المؤهّلات والكفاءات المهنيّة، أظهر ارتكاز العمالة على نوعيّة وكميّة الجدارات المُكتسبة في الميادين كافّة، واستنادها إلى همّ تفضيل بتنشئة المؤهلات والالتزام في وظيفة والتأقلُم مع التغيير.

صحيح أنّ ليس بمقدور الجامعة لعب دور الساحر في تأمين وظيفة لكلّ خرّيج جديد، على رغم أنّها أنشأت دائرة للحياة الطلابيّة والاندماج المهنيّ وهي تقوم بأكثر من الضروري في مجال البحث عن الوظائف. فحين ننظر عن قُرب نجد السوق اللبنانيّ يعاني من استيعاب حصّة صغيرة جدًا من أعداد اللبنانيين واللبنانيّات الذين يتخرّجون سنويًّا من الجامعات اللبنانيّة، والأسباب معروفة منّا جميعنا. يبلغ عدد هؤلاء الخريّجين حوالى العشرين ألفًا، لكنّ قدرة السوق المحليّ لا تستوعب أكثر من ٢٥ أو ٣٠ بالمئة من مجموعهم، ما يدلّ على أنّ جامعاتنا، وجامعتنا ليست بمنأى عن ذلك، هي في قلب سياق العولمة وعليها أن تندرج فيه بقوّة لتحافظ

على ديناميّتها وتنافسيتها. من المهمّ الإشارة إلى الوضع الأمنيّ وعدم الاستقرار السياسيّ والفساد على الطريقة اللبنانيّة، ما يحدّ من تدفّق رأس المال المستثمر، ويساهم في تحوّله إلى أماكن أخرى أشدّ ملائمة. ولم نتحدّث بعد عن المأساة السوريّة وعبء النازحين على أرضنا التي بدأت تشهد مأساة لبنانيّة، طالما أنّ عددًا من المؤسّسات التجاريّة والسياحيّة والصناعيّة استبدلت العامل اللبنانيّ بآخر سوري الجنسيّة يكلّفها أقلّ في نهاية الشهر؛ على السلطات الرسميّة المختصّة أن تتحرّك بطريقة مدروسة بُغية وقف النزف وهي خطوة ضروريّة لاستعادة المتوفّر.

أيها الأصدقاء المؤتمرون والمجتمعون، معًا نرى مدى نُجوع التفكير سويًّا في هذه الحال حيث يجب أن تعمل جهات أربع لإنجاح التمكّن من العمل: على الجامعة أن تدرّب وتضع الدارس في منطق المشروع؛ عالم المؤسّسات وسوق العمل؛ الدولة الحامية والميّسرة؛ والمتخرّج نفسه وهو في قلب المعادلة.

نأمل أن يتمكّن هذا المؤتمر من مساعدتنا على تمييز المشاكل وتشخيص الصعاب بغيّة استعداد أفضل لتحقيق عملنا الأكاديميّ في خدمة الشاب الباحث عن معنى لدراساته وإيجاد رأس المال الذي سيستثمره، والمشاركة في العمل الجَمَاعي لبناء الأمّة وتأمين ازدهارها. الإنسان هو اليوم، وسيبقى دائمًا، الـ«هومو فابر» والـ«هومو لابورنس» أي الإنسان الحرفيّ والإنسان العامل، فالعمل من أجل الإنسان يشكّل جزءًا من وجوده ويمنح معنى لحياته. فلنبذل جميعنا المجهود المطلوب ليجد كلّ إنسان كرامته في العمل. فلتتوحّد جهود الكلّ لإعطاء الخرّيج فرصة العمل لازدهار بلده بدلاً من بناء الاقتصادات الإقليميّة والعالميّة.